دور المماليك في الصراع بين أبناء البيت الأيوبي على السلطة (589-637 هـ/ 1193-1239 م) *

د. جلال حسني سلامة **

* تاريخ التسليم: 11/ 11/ 2014م، تاريخ القبول: 15/ 4/ 2015م.
** أستاذ مساعد/ تاريخ العصور الوسطى/ فرع نابلس/ جامعة القدس المفتوحة.

ملخص:

يتناول هذا البحث واحدة من القضايا التي تستدعي الدراسة والاستقصاء في الأسباب والعوامل التي جعلت المماليك والرقيق الذين تم شراؤهم وجلبهم من مناطق مختلفة من العالم، سواء أكانوا من أفغانستان أم أوزبكستان أم طاجيكستان أم بلاد الصين وغيرها تجتمع كلمتهم يوما ما على الرغم من اختلاف جنسياتهم وألسنتهم، وينتقلون من مرحلة الرقيق والعبيد إلى مرحلة السادة، والمشاركة في اتخاذ القرار ثم تتويج نضالاتهم أخيراً بالاستحواذ على السلطة.

فالأيوبيون الذين كانوا رواد وحدة مصر والشام، ثم تتويج هذا الإنجاز السياسي بإنجاز عسكري لم يتوقعه الأوروبيون في بلادهم، والذي تمثل بانتصارهم الكبير في معركة حطين 583هـ/ 1187م، سرعان ما دبّت الخلافات بينهم بعد وفاة زعيم الدولة الأيوبية الأول السلطان صلاح الدين الأيوبي واستقوائهم على بعضهم، حيث بدأوا بالسماح للمماليك بالتدخل في حسم هذه الخلافات التي وجدوا فيها فرصة ومدخلا في حياكة الدسائس والمؤامرات، وإشعال نيران الفتنه بين أفراد البيت الأيوبي، كما هو الحال بين أبناء السلطان صلاح الدين الأيوبي، وعمهم الملك العادل، وبين أبناء الملك العادل وأحفاده، حتى أصبح المماليك أصحاب الأمر والنهي في الدولة، والتدخل في تعيين الشخصية التي يجدون فيها فرصتهم في فرض نفوذهم وقدرتهم على إزاحته عن سدة الحكم في حالة محاولته تنكره لهم، أو استبعادهم، أو إيقاع الخلافات بين المماليك أنفسهم. ولعل ما حدث بين الأخوين الصالح نجم الدين أيوب والعادل – كما سيرى القارئ– يعطي صورة واضحة عن المكانة التي بلغها المماليك، وقدرتهم على التعاطي مع الأحداث التي أوصلتهم في نهاية الأمر إلى تولي زمام الحكم بعد الإطاحة بالدولة الأيوبية.

The Role of Mamluks in the Conflict between the Ayyubids on Ruling (637- 589AH/ 1193- 1239AD)

Abstract:

The aim of this study is to discuss the factors and reasons that enabled Mamluks, the slaves whom had been bought and brought form various regions of the World (Afghanistan, Pakistan, Uzbekistan, Tajikistan, China and other countries) unified despite their different languages and nationalities to unite and to be in high positions, then to participate in decision making and finally to seize power.

The political achievements of the AL- Ayyubid in Egypt and Great Syria were crowned by their military achievement in defeating the Crusades in Heteen Battle in 583/ 1187 which astonished the Europeans. But disputes occurred after the death of Sultan Salah Al- Deen Al- Ayyubid when the Al- Ayyubid started fighting each other and they allowed for the Mamaleek to interfere in solving their problems. Al- Mamluks found a chance to plot against the Ayuby home especially during the conflict between Salah Al-Deen's sons and their grandson of Al- Malek Al- Adel. Conspiracies made them reach the power, appointing whoever they want and intriguing against who opposed them. This high position in the power was demonstrated by what happened between the two brothers, Al- Saleh Najm Al- Deen Ayob and Al-Adel Al- Thany, which is led ultimately to Mamluks' reigned after vanishing the Ayuby state.

مقدمة

تعود عادة جلب المماليك إلى الدولة الإسلامية، سواءً أكانوا عن طريق الأسر في الحروب أم شرائهم من أسواق النخاسة إلى عهد الخليفة العباسي المأمون 198 – 218هـ/ 813 – 832م وأخيه الخليفة المعتصم 218 – 227هـ/ 833 – 842م [1] ، وسار على هذا الأمر من بعدهم، ولاة الديار المصرية من الطولونيين، والإخشيديين، والفاطميين [2] ، ثم الأيوبيين، حيث اعتادوا على تشكيل فرق عسكرية منهم تسهم في خوض الحروب والمعارك، وتدعيم نفوذهم، وفرض الأمن والنظام الداخلي.

فقد أولى السلطان صلاح الدين الأيوبي بعد إطاحته بالخلافة الفاطمية 567هـ/ 1171م، وتوليه سدة الحكم في مصر والشام بالمماليك المدربين عسكرياً اهتماماً كبيراً حين توسع في عملية شرائهم وجلبهم من مناطق مختلفة، سواء أكانوا من بلاد القبجاق [3] أم بلاد الترك [4] أم بلاد جنوب آسيا [5] بعد أن وجد فيهم الخفة والشجاعة في ممارستهم للفروسية في أثناء تدريبهم عسكرياً وإكسابهم مهاراتها بحذق ودقة [6] . ويبدو أن السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي تعرض لمؤامرات كبيرة ودسائس خطيرة بعد إنهائه الخلافة الفاطمية في مصر، وأسرة آل زنكي في بلاد الشام [7] ، قد مال في بداية الأمر إلى استخدامهم في حراسته وحراسة كبار معاونيه، إلى جانب الدفاع عن القصور والقلاع التي كانت تحوي مخازن السلاح والذخيرة [8] حتى يتأكد له صدق نواياهم وإخلاصهم.

وعندما ثبت للسلطان صلاح الدين صدق ما صدر عنهم من انضباط، والتزام بالتعليمات الصادرة عنه، سواء أكانوا قبل معركة حطين أم بعد مشاركتهم الفاعلة وانتصار المسلمين فيها 583هـ/ 1187م، أخذ يغدق الألقاب والمنح والعطايا الجزيلة عليهم، مكافأة على جهودهم وبلائهم [9] . وكان من جملة الألقاب التي عرف بها مماليكه – على سبيل المثال – ألقابا عدة ومتنوعة [10] منها «المماليك السلطانية» [11] و«المماليك الصلاحية» [12] ، وكذلك ألقاب « سيف الدين» و«علاء الدين» [13] ، وهي بلا شك ألقاب تحمل معاني الشجاعة والمهارة القتالية التي تحلى بها هؤلاء المماليك، إلى جانب المكانة العالية التي وصلوا إليها على اختلاف جنسياتهم وأصولهم في الدولة الأيوبية.

وإلى جانب تلك الألقاب الرفيعة، حاز بعضهم على امتيازات أخرى، تمثلت بمنحهم إقطاعات وممتلكات واسعة في أنحاء مختلفة من البلاد الواقعة تحت سيادة الدولة الأيوبية [14] ، ومن بين هؤلاء المماليك – على سبيل المثال لا الحصر – المملوك مجاهد الدين إياز

[15] الذي منح ولاية شهرزور وأعمالها [16] ، كما نال المملوك علم الدين قيصر [17] عمل الخليل وغزة والداروم (دير البلح) وعسقلان [18] ، ويتولى بدوره إدارتها وتسيير دفة الحكم فيها والدفاع عنها في حال تعرضها لأي خطر أو غزو خارجي [19] .

ولا جدال في أن اهتمام السلطان صلاح الدين الأيوبي وخلفاؤه بالمماليك قد أعطاهم مزيداً من النفوذ والتوسع في ممارسة الصلاحيات، إلى درجة وصل بهم الأمر إلى الرغبة في الاستئثار في الملك وتقلد السلطة [20] . ولا بدّ من التنويه هنا إلى أن الباحث قد تعمّد الوقوف عند تولي الصالح نجم الدين أيوب مقاليد السلطة في مصر، حيث يُعد أكثر ملوك بني أيوب الذين أدركوا الخطر الشديد الذي كان يشكله المماليك في زعزعة أركان الدولة حتى من قبل أكثر المقربين منه [21] ، إلى درجة أنه لم يتوان عن مطاردة من لعبوا دوراً أساسياً واعتقال ومصادرة أموالهم وأملاكهم في تملك دفة حكم الديار المصرية، واستبدالهم بمماليك أكثر موالاة وطاعة له حين استكثر من شرائهم من بلاد الترك والخطائية، وتقديم المنح والعطايا الوفيرة على وفائهم وإخلاصهم له [22] . ولا بدّ أن الصالح نجم الدين أيوب قد وضع عيوناً لمراقبة تحركاتهم، وردّهم عن حياكة الدسائس والمؤامرات الهادفة إلى الإطاحة به، وتقويض حكمه.

المماليك بعد وفاة السلطان صلاح الدين الأيوبي:

استغل المماليك الأسدية [23] والصلاحية [24] خطوة السلطان الأيوبي صلاح الدين بتقسيمه أملاك الدولة بين أبنائه قبيل وفاته يوم 27 صفر 589هـ/ الموافق 4 مارس (آذار) 1193م [25] ، فأخذوا – وإن كانت بصورة خفية وبعيدة عن الأنظار – يشتركون في حياكة الدسائس والمؤامرات بين أبنائه الأفضل نور الدين، والعزيز عثمان، والظاهر غازي إلى درجة أنهم استطاعوا بأساليبهم المختلفة إقناع الملك الأفضل بالعودة عن قراره وقبوله بالتنازل عن السيادة على المدينة المقدسة لأخيه العزيز عثمان والاحتفاظ بها لنفسه [26] . وعندما أحس هؤلاء المماليك بفشله في تدبير أموره سياسياً وتوجس أخيه العزيز خيفة من سوء تصرفه، أخذوا يشيرون عليه ببذل الاستعدادات العسكرية كافة، من أجل مواجهته ثم الاستيلاء على أملاكه كلها في بلاد الشام، وبخاصة بعد أن أقدم الأفضل على خطوته التي لم يقدر عواقبها حين استبعد المماليك الصلاحية الذين التحقوا في صفوف أخيه العزيز عثمان [27] .

ووقف وراء تمرد هؤلاء المماليك خيرة قادتهم وكبار الدولة وفي مقدمتهم الأمير فخر الدين إياز جهاركس، وفارس الدين ميمون القصري [28] ، إلى درجة وصف فيها أحد الباحثين المحدثين انضمام مثل هؤلاء القادة كان له وقعه في إضعاف سلطة الأفضل،

وتقوية مركز العزيز عثمان وعلوّ شأنه [29] وتحريضه على التوجه إلى دمشق وبسط سيادته عليها [30] ويبدو أن العزيز عثمان وقع تحت تأثير هؤلاء المماليك، وبخاصة أنه عندما استعد للخروج من القاهرة باتجاه دمشق 590هـ/ 1193م، فإن غالبية فرسانه الذين قدر عددهم بحوالي ألفي فارس كانوا من الأسدية والصلاحية، [31] ولكن عند وصول جيشه إلى أبواب دمشق جاء تدخل الملك العادل – أخو السلطان صلاح الدين الأيوبي – الذي أنهى الأمر بتوقيع صلح بين الطرفين يقضي بتسليم بيت المقدس للعزيز عثمان، وأن تكون دمشق وطبرية بيد الملك الأفضل [32] . ومما يدل على علو المكانة التي وصل إليها المماليك حين انتدب العزيز عثمان الأمير فخر الدين جهاركس من أجل توقيع هذا الصلح نيابة عنه [33] .

إن التحاق المماليك الصلاحية في صفوف العزيز عثمان أحدثت نوعاً من الإرباك والفوضى، حين أظهر المماليك الأسدية الموالين له [34] عن عدم رضاهم بفعلتهم هذه، إلى درجة وصل الأمر بكبار مستشاريهم إلى اتخاذ قرار خطير يتبيّن منه حجم النفوذ الكبير الذي بدأ المماليك يمارسونه، حين بدأوا بتدبير مؤامرة تقضي بالانقلاب على العزيز عثمان والتخلص منه [35] .

ولا شك أن اضطراب الوضع بين أبناء السلطان صلاح الدين الأيوبي ومماليكهم أخذ يصبّ في مصلحة الملك العادل محمد أخو السلطان الأيوبي [36] الذي كان يطمع في تقويض حكم أبناء أخيه والاستئثار بالنفوذ والسلطة [37] ، فاستغل الخلافات التي بدأت تتجذر في صفوف أتباعهم من المماليك، حيث أرسل إلى المماليك الأسدية سراً تحذيره لهم من إقدام العزيز عثمان على تقديم المماليك الصلاحية منه [38] وفي الوقت ذاته نجده يحذر العزيز من محاولات الأسدية تدبير مؤامرات ضده [39] .

وبالفعل، نجح الملك سيف الدين العادل في تنفيذ خطته السياسيّة، حين عرض عليه الأفضل تقديم ما يستطيع له من عون ماديّ وعسكري ضد أخيه العزيز عثمان، الذي بدأ يتأهب من أجل مهاجمة دمشق 591هـ/ 1194م [40] ، ولعل ذلك يبرز أثر تدخل المماليك في الشؤون الداخلية للدولة الأيوبية وخلافاتها التي وصلت إلى حدّ تمكين الملك العادل من فرض شروطه على الأفضل [41] في حال انتصاره على أخيه، وبموجبها يحصل العادل على ثلث الديار المصرية، وما تبقى يصبح في قبضة الأفضل [42] . ويبدو أن العادل ظل في محل شك منه، ولهذا تظاهر بضرورة تحقيق مصالحة بين الأخوين وإزالة أسباب الخلافات بينهما كي يخفي رغبته التي تكمن في الاستحواذ على الديار المصرية وانتزاعها من أيدي أبناء أخيه السلطان صلاح الدين، وهذا ما يفسّر سبب توجهه إلى مصر والإقامة فيها [43] . ومن ناحية أخرى، فإن وجوده في هذا البلد سيمكنه من متابعة الأحداث وما يجري خلالها

من تطورات، عندما لعب المماليك الصلاحية دورهم في إثارة العداء بين الملك العزيز، وابنه ناصر الدين الذي أطلقوا عليه لقب «الملك المنصور» تمهيداً لتنصيبه، ولكن وفاة العزيز 595هـ/ 1198م حالت دون تحقيقها [44].

فبعد وفاته، أعلنت المماليك الأسدية، عن رفضها تنصيب ولده ناصر الدين خلفاً لأبيه بحجة صغر سنه وعدم قدرته على تسيير أمور الدولة، ولعلّ ذلك يشير إلى العداء المستحكم بين المماليك الصلاحية والمماليك الأسدية واختلاف وجهات النظر حول تعيين ناصر الدين، أضف إلى ذلك قدرتهم على فرض آرائهم على حكام الدولة الأيوبية الذين فشلوا في وأد الخلافات الداخلية بينهم، الأمر الذي أعطى المماليك مزيداً من النفوذ والسطوة [45] ، حين نجحت طائفة المماليك الأسدية بفرض الأفضل نور الدين لخلافة أخيه العزيز عثمان في تولي زمام الأمور في الديار المصرية [46].

إن اعتلاء الأفضل للسلطة في مصر كان مقدمة في تحقيق المصلحة العليا للملك العادل التي تمثلت في التعاون مع المماليك الصلاحية من أجل الإطاحة بحكمه، فتمكنوا من هزيمته [47] ومطاردة أبناء أخيه السلطان صلاح الدين والقبض عليهم [48]. وبعد أن تم له ما أراد، يبدو أنه شعر بالخطر الكبير الذي بات يتهدده من المماليك الصلاحية وخشيته من انقلابهم ضده، وبخاصة أن الملك العادل وصف بأنه ذو رأي سديد وعقل ودهاء، حتى إن السلطان صلاح الدين الأيوبي لم يكن يستغني عن استشارته [49] ولهذا بدأ يضع الخطط والسبل التي تكفل له إنهاء دورهم السياسي والعسكري في الدولة الأيوبية، حيث تدرّج في القبض عليهم ومصادرة أملاكهم من القلاع والحصون وغيرها [50].

ويأتي هذا التدرج في تقليص نفوذ المماليك الصلاحية نتيجة عوامل خارجية وأخرى داخلية عميقة قد تودي بسلطة الملك العادل في حالة تهوّره باتخاذ قرارات صعبة، ففي الوقت الذي ملك فيه الديار المصرية 596هـ/ 1199م، تعرضت أراضي بلاده لهجوم صليبي شديد استمر قرابة أربعة شهور [51] الأمر الذي جعل الملك العادل في هذه الفترة العصيبة والحرجة غير قادر على أن يظهر عداءه للمماليك علانية، سواء أكانوا الصلاحية منهم أم الأسدية، ويعود ذلك – كما يبدو – إلى حاجته الشديدة لجيوش وقوات عسكرية كاملة التدريب والتسليح تمكنه من الصمود والثبات أمام غارات الصليبيين وهجماتهم المتكررة إلى ما بعد وفاته 615هـ/ 1218م، سعيا إلى تعميق الخلافات بين الأيوبيين والمماليك من أجل أن يسهل عليهم الاستيلاء على الديار المصرية وبسط نفوذهم فيها [52]. ومن ناحية أخرى، فإن إعلان العداء للطوائف المملوكية قد يوحد صفوفها في مواجهته، مما يضعف من عزيمته ثم هزيمته وسقوط حكمه، وبخاصة في ظل هذه الظروف الصعبة

التي كانت تعيشها بلاده، والتي لم تمكنه من بناء فرق مملوكية جديدة وتشكيلها يضمن ولاءها وانتصارها له.

المماليك في عهد الملك العادل محمد وأبنائه:

لقد سار الملك العادل قبيل وفاته على خطى أخيه السلطان صلاح الدين الأيوبي في تقسيم أملاك الدولة الأيوبية بين أبنائه في الوقت الذي كان فيه الصليبيون يشنون غاراتهم على الديار المصرية [53] . فتولى ابنه وولي عهده الملك الكامل محمد [54] حكم بلاد مصر. وتولى حكم الشام ابنه المعظم عيسى [55] ، وتولى ابنه الملك الأشرف موسى حكم بلاد المشرق وخلاط [56] ، في حين حصل أبناؤه الآخرون على تولي السلطة في أنحاء مختلفة من الدولة الأيوبية [57] .

وعندما وطد كل واحد منهم سلطته في ملكه وثبت أركانها، أخذ يسعى إلى جلب مجموعات كبيرة من المماليك بهدف تسخيرهم لخدمته، وتدريبهم في معسكراته على خوض الحروب والمعارك، سواء أكانوا ضد القوات الصليبية التي كانت لا تزال تهدد الدولة الأيوبية وحدودها [58] أم التدخل في حسم الخلافات والصراعات التي كانت تحدث بين الإخوة [59] .

ففي أثناء الخلاف الذي نشب بين الأخوين الملك الكامل والملك المعظم عيسى، سارع الكامل عندما علم من عيونه – كما يبدو– ما يخطط له مماليك والده من وراء إجراء اتصالات علاقات وإقامتها مع أخيه المعظم عيسى تهدف في نهاية الأمر إلى عزله، ودعوة الأخير القدوم إلى مصر وتولي مقاليد الحكم فيها [60] وظل الخلاف والصراع العسكري بين الأخوين قائما، فبعد وفاة المعظم عيسى 624هـ/ 1226م وتولي ابنه الناصر داود مقاليد السلطة، جهز الملك الكامل 625هـ/ 1227م حملته قاصداً مصر للسيطرة عليها من ناحية، [61] ومن ناحية أخرى كان يسعى – كما يبدو– إلى تأديب مماليك أخيه المعظم عيسى الذين شجعوه على مهاجمة مصر وضمها إلى ملكه، الأمر الذي دفع الناصر داود إلى الاستنجاد بعمّه الأشرف موسى الذي عرف عنه نشاطه في شراء المماليك وتدريبهم على الأمور العسكرية.

لقد كان الأشرف موسى أكثر إخوته نشاطا واهتماما فيما يتعلق بشراء المماليك التي عرفت فيما بعد بالمماليك الأشرفية، حيث بذل في سبيل ذلك أموالا طائلة، ثم الإشراف على تدريبهم وتربيتهم تربية عسكرية على قدر كبير من الدقة والحنكة [62] ، وإسناد قيادتهم إلى مملوكه عز الدين أيبك المعظمي [63] ، وبلغ من قوة مماليكه أن جعل منهم قوة عسكرية

قوية يهدد بهم إخوته، ويطمع في الاستيلاء على البلاد الواقعة تحت نفوذهم وسيطرتهم، فقد اتخذ استعداداته العسكرية كافة من أجل أن يهاجم أخيه الكامل محمد في مصر، دون أن يأبه برد فعل أخيه المعظم عيسى في دمشق الذي أعلن عن استيائه وغضبه من تصرف أخيه هذا [64] . وظلت طائفة المماليك الأشرفية تمتاز بنفوذها وقوتها العسكرية إلى ما بعد تولي الصالح نجم الدين أيوب حكم السلطنة في مصر 637هـ/ 1239م، والتي حاولت الإطاحة بسلطته [65] .

وإلى جانب هذه الطائفة والطوائف الأخرى في الدولة الأيوبية، ظهرت طائفة جديدة عرفت بالكاملية وتتبع السلطان الكامل محمد ابن الملك العادل [66] ، التي قامت بدورها العسكري في التصدي للحملة الصليبية الخامسة على مصر [67] ، وما لعبته من دور كبير وفاعل في مساعدة الكامل في معاركه التوسعية في مكة، واليمن، ومصر، والشام، والجزيرة [68] . ولم يقتصر دور المماليك الكاملية على الجانب العسكري فحسب، بل امتد إلى جانب آخر تمثل في إرساء دعائم الأمن الداخلي، والعمل على استتباب الأوضاع الداخلية، والحد من أعمال الفوضى والاضطرابات وأعمال العنف، وكذلك تأمين حركة التجار والمسافرين من اللصوص، وعمليات السلب والنهب على طول الطرق الخارجية [69] .

ويبدو أن هذه الانتصارات والانجازات سواء أكانت التوسعية منها أم العمل على ترسيخ أسس الأمن والاستقرار الداخلي على أيدي المماليك الكاملية هو ما دفع الملك الكامل محمد بعد أن ثبت له حرصهم الشديد في السهر على مصالح دولته إلى أن يصدر قراره بتعيين الأمير شمس الدين صواب العادلي [70] ، حاكما على حصن كيفا [71] ، مكافأة على إخلاصه وولائه له، واستمر الأمير العادلي في منصبه لهذه البلدة حتى وفاته 631هـ/ 1233م، حيث عين الكامل بعد ذلك ابنه نجم الدين أيوب [72] . ولعل ذلك يشير إلى الخبرة والدراية السياسية والعسكرية التي تميز بها المماليك في أثناء الحكم الأيوبي، وما تحقق لهم من نفوذ بسبب استمرار الخلافات الأيوبية – الأيوبية في الوقت ذاته.

ويتجلى هذا الخلاف، عندما اتخذ الملك الكامل محمد قراره أن يزحف بجيشه من مصر باتجاه دمشق سعيا لانتزاعها من ابن أخيه الناصر داود [73] . ويبدو أن الأخير كان عاجزاً عن صد قوات أخيه مما اضطره – على مضض ودون رغبة – إلى الدخول في مفاوضات معه أفضت إلى عقد صلح بين الجانبين، وبموجبه يحتفظ الناصر داود ببصرى [74] وبعلبك وأعمالها [75] ويضم الملك الكامل دمشق إلى ملكه [76] ، ولكن وفاته التي جاءت بعد فترة قصيرة من ضمه لهذه المدينة أي في عام 635هـ/ 1237م سرعان ما أدت إلى ظهور الصراع والتنافس على أشده بين الجانبين الأيوبي والمملوكي [77] .

ففي الوقت الذي وجد فيه الناصر داود فرصته التي كان يتحينها لاستعادة دمشق، انتهز بعض كبار مماليك الملك الكامل محمد وفي مقدمتهم سيف الدين قليج [78] وعز الدين أيبك وغيرهم من أصحاب السلطة والنفوذ اشتداد الأزمة السياسية داخل البيت الأيوبي، فبادروا إلى عقد اجتماع طارئ للتشاور واختيار الشخصية التي تناسب المرحلة القادمة، ولكن يبدو أن اختلاف وجهات النظر بين المجتمعين حالت دون التوصل إلى رأي موحد [79] ، فمنهم من مال إلى تنصيب الناصر داود على أن يبادر إلى توزيع أموال أبيه على المماليك [80] ، ومنهم من أشار إلى تعيين العادل الثاني ابن الملك الكامل محمد، وهو الرأي الغالب. فمن ناحية يبدو أن الناصر داود قد رفض الاستجابة للعرض الذي تقدموا به. ومن ناحية أخرى هي أن المماليك كانوا قد نجحوا في أقناع الملك الكامل بتولية ابنه العادل الثاني قبل وفاته وتفضيله على ابنه الأكبر نجم الدين أيوب [81] .

لم تأت نصيحة كبار المماليك إلى الملك الكامل محمد وأمراء الدولة الأيوبية بتنصيب ولده العادل الثاني خلفا له، واستبعاد نجم الدين أيوب دون تخطيط ودراسة مسبقة تحفظ هيبتهم ومكانتهم في الدولة، وتلبي تدريجيا طموحاتهم الساعية إلى إنهاء الحكم البيت الأيوبي والاستئثار بالسلطة.

فقد عرف عن العادل الثاني انصرافه الشديد في ممارسة اللهو والملذات والإسراف في تبذير الأموال، وعدم أهليته في تولي شؤون الحكم [82] . في حين تميز أخوه الأكبر نجم الدين أيوب – الذي كان يعتقد أن الأمور ستؤول إليه – بالحنكة السياسية وقدرته على تصريف الأمور بحكمة، فضلا عما تناهى إلى مسامع كبار المماليك بحكم قربهم من مركز القيادة ومن عيونهم من الأيوبيين عن الخطوات التي بدأ بترتيبها، وتتمثل بصورة أساس في شراء المماليك من بلاد القبجاق [83] ، التي كانت ملاذا لكثير منهم بعد أن لجأوا إليها هربا من أعمال القتل والبطش التي ارتكبها غزاة التتار بحقهم [84] ، كما عمد الصالح نجم الدين أيوب على شرائهم من بلاد الصين [85] ، إضافة إلى جلب أعداد كبيرة منهم من بلاد الترك والروم والأرمن [86] استعدادا لتسلم زمام الأمور والتصدي للخطر الكبير الذي بات يشكله مماليك والده، وتدخلهم السافر في شؤون الدولة ومصالحها الداخلية والخارجية [87] .

لقد استطاع المماليك تنفيذ خطتهم التي استندت إلى تعيين العادل الثاني حاكما جديدا للدولة الأيوبية خلفا لوالده الملك الكامل محمد، واستبعاد الصالح نجم الدين أيوب صاحب الشرعية في تولي هذا المنصب، من أجل تحقيق مكاسب سياسية وتعزيز مكانتهم في المشاركة في إدارة شؤون الدولة. فلم يكد يمضي على تولي العادل الثاني للسلطة فترة قصيرة حتى أخذ يغدق العطايا والمنح المالية الجزيلة، ويوزع مساحات كبيرة من الأراضي والإقطاعات على مماليكه [88] . ولعل ذلك يشير إلى حجم الخطر الكبير الذي كان يتوقعه

من أخيه الأكبر الصالح نجم الدين أيوب [89] ، فأراد – أي العادل الثاني – بسياسته هذه ضمان وقوف مماليك والده إلى جانبه وولائهم له من ناحية، ومن ناحية أخرى كان يرمي إلى زيادة حدة الكراهية والعداء بين مماليكه، ومماليك أخيه الذي لن يدخر جهدا في إقصاء مماليك والده وانتزاع سلطاتهم ونفوذهم السياسي.

فما كادت الأمور تستقر للعادل الثاني في مصر، حتى بدأ نجم الدين أيوب يرسم خططه ويبني شبكة من العلاقات مع المصريين المعارضين لسياسة أخيه لزعزعة الأوضاع الداخلية والإطاحة بحكمه [90] فغادر حصن كيفا وتوجه نحو دمشق التي نجح في الاستيلاء عليها وانتزاعها من الملك الجواد يونس نائب العادل [91] . ولعل ذلك يشير إلى أن نجم الدين أيوب أراد أن يكون أكثر قرباً للاطلاع عما يجري من أحداث وتطورات سياسية على الساحة المصرية، وتنفيذ التدابير اللازمة من أجل ضمان نجاح خطته التي يسعى إليها.

ومما يدفع إلى هذا الاعتقاد، القرار الذي اتخذه نجم الدين أيوب بتعيين ولده المغيث عمر [92] على دمشق نيابة عنه في إدارة شؤونها [93] ، ثم تحركه جنوباً نحو الديار المصرية للاستيلاء عليها وبسط نفوذه فيها [94] ، فما كاد يصل نابلس ويستريح مع مماليكه فيها فترة قصيرة من الزمن، حتى تناهى إلى أخيه العادل من عيونه التي كانت تترصد خروج نجم الدين أيوب أخبار تحركاته وأهدافها الخطيرة، ولهذا، سارع – أي العادل– إلى ترتيب خطة بالشراكة مع كبار مماليكه، تقضي بإحباط هذه المؤامرة وإفشالها، حيث أرسل على وجه السرعة إلى أسد الدين شيركوه – صاحب حمص– [95] يطلب منه شن هجوم على دمشق بعد حصارها وانتزاعها من المغيث عمر واعتقاله [96] . كما أوعز إلى الناصر داود – صاحب الكرك– بملاقاة نجم الدين أيوب وإلقاء القبض عليه وسجنه [97] .

لقد نجح الناصر داود في مهمته، حيث قبض على الصالح نجم الدين أيوب وزوجه شجر الدر [98] في ربيع الأول 637هـ/ تشرين أول 1239م في الكرك – جنوب الأردن– وأودعهما السجن [99] مع عدد من مماليكه الذين بلغت عدّتهم ما بين سبعين إلى ثمانين مملوكاً [100] ، وفي مقدمتهم مملوكاً يدعى ركن الدين بيبرس الذي نال من الحظوة والاهتمام الكبيرين عند الصالح نجم الدين [101] . وعندما علم العادل بنبأ اعتقال أخيه نجم الدين أيوب ومصادرة كل ما كان يحمله من أموال وثروات أصابته الغبطة والسرور [102] ، ثم عرض على الناصر داود مبلغاً من المال قدّر بحوالي مائة ألف دينار مقابل تسليمه له، إلا أن الأخير رفض الاستجابة لهذا الطلب [103] . ويرى أحد الباحثين المحدثين أن موقف الناصر داود هذا كان يخفي وراءه رغبته في استعادة أملاك أبيه المعظم عيسى في بلاد الشام [104] . ويفهم من هذا، أن العادل كان يرغب في سجن أخيه في الديار المصرية من

أجل أن يكون قريبا منه وتحت بصره وحتى يضمن خلاصه من الخطر الذي كان يشكله نجم الدين أيوب وجماعته.

وخلال الفترة التي قضاها نجم الدين أيوب في سجنه في الكرك أخذ العادل– الذي لم يخف عليه طيلة السنوات الماضية خطر المؤامرات التي كان يشكلها المماليك على أعمامه وإخوته وتدرجهم في الإطاحة بالحكم الأيوبي– يتفرغ للأمراء والمماليك الذين كانوا يناصرونه ووقفوا إلى جانبه في محنته، فبدأ باستبعاد ذوي السلطة والجاه منهم، وقطع رواتبهم [105] وأتى إلى بلاطه بأمراء جدد، إضافة إلى توجيه تعليماته بالاعتناء بالأطفال الذين كانوا يؤسرون في الحروب وعرفوا باسم الترابى [106] . ولعل ذلك يشير إلى خطته في بناء جيش موال ومنظم يكفل له الأمن والحماية.

وعندما أحس المماليك بأن العادل مستمر في سياسته هذه تجاههم، وأنه لن يتراجع عنها، وجدوا أنه لا سبيل للاستعجال للتخلص منه سوى مراسلة أخيه الصالح نجم الدين أيوب الذي لم يكن قد مكث في سجنه طويلاً [107] . حيث أفرج عنه بعد بضعة أشهر بموجب اتفاق عقد بينه وبين الناصر داود، يقضي بإعادة دمشق للأخير بعد أن يبسط الصالح نجم الدين أيوب سيطرته على الديار المصرية [108] . بالتعاون مع مماليكه الذين وضعوا خطة محكمة لإزاحة العادل عن سدة الحكم قبل أن ينجح في تحقيق أهدافه.

ومن أجل هذا الأمر، كان المماليك الأشرفية قد وقفوا في مقدمة منفذي الخطة، ثم لم يلبث أن انضمت إليهم طائفة المماليك الكاملية [109] وكانت خطتهم جميعاً ترمي إلى دعوة الصالح نجم الدين أيوب إلى مصر وتسلمه زمام السلطة فيها، في الوقت الذي اجتمعت فيه العساكر جميعها تحت قيادة عز الدين أيبك وتوجهها نحو خيمة العادل وحصاره ثم اعتقاله [110] ، وذلك ليلة الجمعة 8 ذي القعدة 637هـ/ حزيران 1239م [111] . بعد فترة حكم قصيرة لم تدم سوى سنة وشهرين وبضعة أيام [112] ، ليخلفه بعدها الصالح نجم الدين أيوب الذي دخل القاهرة يوم 27 ذي القعدة 637هـ/ حزيران1240م [113] ، وفور ذلك أصدر أوامره بزجّ أخيه العادل في سجنه في قلعة الجبل [114] ، ثم أخذ يكافئ جميع الأمراء وكبار المماليك الذين نجحوا في تنفيذ الخطة [115] ، وظل العادل رهين السجن في قلعة الجبل إلى أن أوعز أخوه الصالح نجم الدين أيوب 645هـ/ 1247م، بقتله على أيدي مماليكه [116] .

خاتمة:

يخلص الباحث إلى القول إن وجود المماليك في الدولة الأيوبية، وتعاظم نفوذهم فيها يعود بالدرجة الأولى إلى المسؤولية الجسيمة التي أخذها السلطان صلاح الدين الأيوبي

على عاتقه بعد إطاحته بالحكم الفاطمي في مصر 567هـ/ 1171م، ومطاردة أتباع المذهب الشيعي وتصديه لمناوئيه وخصومه من آل زنكي في بلاد الشام، إلى جانب الهدف الرئيس وهو متابعة مشروع الجهاد والمقاومة الذي سار عليه أسلافه، وصولاً إلى تحرير بيت المقدس وتقويض أركان المملكة الصليبية اللاتينية.

وكان لزاماً عليه أمام ثقل هذا المشروع والتحديات الداخلية والخارجية الصعبة أن يلجأ إلى استقطاب أكبر عدد ممكن من طائفة مماليك عمه أسد الدين شيركوه التي عرفت بالأسدية، وأن يكسب ولاءهم وطاعتهم له، كما وجد أن الأمر كان يقتضي منه استجلاب مجموعات أخرى جديدة من المماليك ودمجهم في صفوف جنده وقواته الموالية له. ولكي يضمن ذلك فقد منح بعض من صدق في ولائه وإخلاصه في القتال إلى جانبه ألقاباً ورتباً تشير إلى رفعة مكانته وعلو منزلته ومشاركته في اتخاذ قرارات في الجوانب السياسية والعسكرية، ومن هؤلاء على سبيل المثال لا الحصر المملوك مجاهد الدين إياز الذي منح ولاية شهرزوز وأعمالها، والمملوك علم الدين قيصر الذي حاز على عمل الخليل وغزة والداروم «دير البلح»، وغيرهم ممن لم ترد أسماءهم في المصادر التاريخية المتوافرة.

لقد عرفت طائفة المماليك التي نالت حظوتها واهتمامها من قبل السلطان صلاح الدين الأيوبي باسم طائفة المماليك الصلاحية التي أسهمت في ترتيب أوضاع الدولة الأيوبية سياسياً وعسكرياً توّج بانتصار القوات الإسلامية على القوات الصليبية الغازية، وتحطيم قوتها في معركة حطين الشهيرة 589هـ/ 1193م، واتخاذ خطوته بتقسيم أملاك الدولة الأيوبية بين أبنائه الذي لم ينل رضى كل واحد بنصيبه، مما سمح للطوائف المملوكية على اختلاف جنسياتها وميولها إلى الوقوف إلى جانب كل واحد من الإخوة واستعدائهم على بعضهم بعضاً.

ومما لا شك فيه أن نهج السلطان صلاح الدين الأيوبي في هذه القسمة قد زادت من حدة الخلافات والعداوة والحسد بين الإخوة، فسارع كل منهم إلى كسب ولاء المماليك وطاعتهم بإغرائهم بتقلد مناصب عليا وحساسة في الدولة، ومن ذلك المملوك الذي عرف باسم الأمير فخر الدين جهاركس، حيث ولاّه الملك العزيز عثمان بعد فراره من صفوف الملك الأفضل وظيفة «الاستادار»، وهي وظيفة تطلق على من تولى قبض مال الملك أو الأمير وإنفاقها حسب أوامره كما ورد عند القلقشندي في كتابه صبح الأعشى، ج5، ص439 – ص430.

وإلى جانب ذلك، أغدق ملوك بني أيوب وأمراؤهم أموالاً طائلة في سبيل استجلاب أعداد كبيرة من المماليك ممن عرفوا بدراية الحرب والفروسية، ونسبت كل طائفة منها إلى الملك أو الأمير الذي عكف على شرائها، ونالت منه كل رعاية واهتمام، ومنها – على سبيل

المثال– طائفة الأفضلية التابعة للملك الأفضل نور الدين الابن الأكبر للسلطان الأيوبي صلاح الدين، وطائفة العادلية التي تبعت للملك العادل أخو السلطان الأيوبي، والصالحية نسبة للملك الصالح نجم الدين أيوب، وهكذا..... وكثيراً ما انقلب بعض كبار الأمراء المماليك على الملك أو السلطان التابعين له ليلتحقوا في صفوف آخر، ويثيرون فيه الحقد والكراهية، ويدفعون به إلى محاربته، ومن ذلك الأمير المملوكي فارس الدين ميمون القصري، وشمس الدين سنقر الكبير، وغيرهم من الذين فرّوا من ديار الأفضل الشامية إلى العزيز عثمان في مصر، وإشغال نار الحرب بينهما.

ولعل هذا الأمر قد أسهم عن قصد أو غير قصد في انتقال مقاليد حكم الدولة الأيوبية إلى الملك العادل وأبنائه الذين ساروا على خطى أبناء عمهم السلطان صلاح الدين الأيوبي، حين استعانوا هم الآخرين بالأمراء المماليك في نزاعاتهم وخصوماتهم، الذين واصلوا هذا النهج، كما حصل مع الملك العادل الثاني الذي قدموا له الدعم والمساندة ضد أخيه السلطان الصالح نجم الدين أيوب، ولكن ما لبثوا أن عادوا عن قرارهم هذا ووقفوا إلى جانب الأخير عندما حاول الملك العادل الثاني أن يحد من نفوذهم أو يسعى إلى استبدالهم في محاولة منه ترمي إلى إفشال طموحاتهم في التدرج في إنهاء حكم البيت الأيوبي. ولا شك أن السلطان الصالح نجم الدين أيوب قد أدرك مدى الخطورة التي بات أمراء الممالك وأتباعهم يشكلونها على الدولة، فعندما استتبت له الأمور أخذ بملاحقتهم ومطاردتهم، حتى أولئك المقربين منه الذين كانت لهم اليد الطولى في تدبير انقلابه على أخيه العادل، وتوليه سدة الحكم في الديار المصرية.

الهوامش:

1. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/ 922م) تاريخ الرسل و، ج8لوك، ج8، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1966م) ، ص6. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت911هـ/ 1505م) ، تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة، (القاهرة، 1251م) ، ص222. ابن تغري بردي، جمال الدين بن يوسف، (ت874هـ/ 1465م) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج2، ص233. العبادي، أحمد مختار. قيام دولة المماليك الأولى، (مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د. ط، د. ت) ، ص11. الدوري، عبد العزيز. العصر العباسي الأول، (د. ن، بغداد، د. ط، د. ت) ، ص277.

2. الكندي أبو عمر بن يوسف (ت350هـ/ 961م) الولاة والقضاة، (طبعة روفن جست، بيروت 1908م) ، ص202.

Lane- Poole. History of Egypt in the middle Ages, (London,1925) ,p. 60.

العبادي، أحمد مختار، قيام دولة المماليك، ص67 – 73.

3. الكتبي، محمد بن شاكر (ت764هـ/ 1362م) ، فوات الوفيات، ج1، تحقيق: إحسان عباس، (دار صادر، بيروت، 1980م) ، ص329. ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي (ت930هـ/ 1523م) ، بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج1، ق1، تحقيق: محمد مصطفى، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1982م) ، ص288. وبلاد القبجاق: إقليم في حوض الفولغا الواقع في الجنوب الشرقي من روسيا الحالية وشمال البحر الأسود والقوقاز، وكان القبجاقيون يعتمدون في معيشتهم على التنقل والترحال من مكان إلى آخر عن ذلك ينظر: القلقشندي، أبو العباس أحمد (ت821هـ/ 1418م) . صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج4 (القاهرة، 1913 1919م) ، ص458.

4. ابن خلدون، عبد الرحمن المغربي (ت808هـ/ 1405م) ، كتاب المبتدأ العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج5، ق1، (دار الكتاب اللبناني، د. ت) ، ص806.

5. العيني، بدر الدين محمود، (ت855هـ/ 1451م) ، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان عصر سلاطين المماليك، (648 – 664هـ/ 1250 – 1265م) ، تحقيق محمد محمد أمين، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م) ، ص275. ابن الشحنة، عفيف الدين حسين محمد بن محمد (ت916هـ/ 1510م) . البدر الزاهر في نصرة الملك الناصر، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت) ص 170.

6. جوانفيل. مذكرات جوانفيل، القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام، ترجمة حسن حبشي، (دار المعارف، مصر، ط1، 1968م) ، ص137.

7. لمزيد من التفاصيل عن مثل هذه المؤامرات والدسائس، ينظر: الأصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد بن حامد (ت597هـ/ 1201م) البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تحقيق محمد علي الطعاني، – رسالة ماجستير غير منشورة – (جامعة اليرموك، 1994م) ص360 – 363. ابن أيبك الدواداري، أبو بكر عبد الله (ت732هـ/ 1331م) ، كنز الدرر وجامع الغرر، ج7، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، (القاهرة، 1972م) ، ص–55 58. البنداري، قوام الدين الفتح بن علي (ت 622هـ/ 1225م) سنا البرق الشامي، تحقيق، رمضان شتن، (دار كتاب الجديد، بيروت، 1980م) ، ص29. جبران، نعمان محمود. دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، (مؤسسة حمادة، إربد، الأردن، ط1، 2000) ، ص66 – 75. حسن، صفوان طه. تاريخ الأيوبيين والمماليك، دار الفكر، عمان، الأردن، 1431هـ/ 2010م) ، ص52 – 56.

8. جوانفيل. مذكرات، ص137.

9. القلقشندي، أحمد بن علي، (ت821هـ/ 1418م) ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، تعليق: محمد حسين شمس الدين، (دار الفكر، ط1، 1987م) ، ص458.

10. المصدر نفسه، ص458.

11. المصدر نفسه. ص458.

12. أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت665هـ/ 1266م) . كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج2، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، (دار الجيل، بيروت، د. ت) ، ص205. الحنبلي، أحمد بن إبراهيم، (ت 876هـ/ 1471م) . شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق: ناظم رشيد، (د. ن، د. ط، د. ت) ، ص121. .Lane- Poole. History, p242

13. القلقشندي. صبح الأعشى، ج5، ص458.

14. ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي (ت809هـ/ 1406م) . كتاب الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ق2، (المكتب التجاري، بيروت، 1892م) ، ص19، 83.

15. مجاهد الدين إياز: لم يعثر الباحث على تعريف له.

16. ولاية شهرزور: كورة واسعة في الجبال بين إربل وهمذان، ومعنى شهر بالفارسية المدينة، وأهل هذه النواحي كلهم أكراد. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله،

(ت626هـ/ 1228م) ، معجم البلدان ج3، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1410هـ/ 1990م) ، ص425.

17. علم الدين قيصر: هو أحد مماليك صلاح الدين الأيوبي، لعب دوراً كبيراً في مواجهة الصليبيين (587هـ/ 1191م) . عن ذلك ينظر: الأصفهاني، عماد الدين محمد بن حامد، (ت597هـ/ 1201م) ، الفتح القسي في الفتح القدسي. تحقيق محمد محمود صبح، (القاهرة، 1965م) ، ص564، 583، 591، 611.

18. الخليل: تقع على بعد 36كم إلى الجنوب من بيت المقدس، ينظر: الدباغ، مصطفى مراد. بلادنا فلسطين، ج5، (ط جديدة، دار الهدى، كفر قرع، 1991م) ، ص47.

غزة: تقع جنوب غرب فلسطين، يحدها من الغرب البحر الأبيض المتوسط ومن الشرق الخليل وبئر السبع ومن الجنوب شبه جزيرة سيناء ومن الشمال الرملة. ينظر: المرجع نفسه، ج1 ب، ص11.

الداروم (دير البلح) : الدار كلمة سامية بمعنى الجنوب، وهي تقع إلى الجنوب من غزة. ينظر: المرجع نفسه، ج1 ب، ص290.

عسقلان: تقع إلى الشمال من غزة. المرجع نفسه، ج1ب، ص156.

19. أبو شامة. الروضتين، ج2، ص205.

20. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن على بن أبي الكرم الشيباني (ت637هـ/ 1239م) ، الكامل في التاريخ، ج12، (دار صادر، بيروت، 1979م) ، ص97. الحنبلي. شفاء القلوب، ص176. العزة، رئيسة عبد الفتاح. نابلس في العصر المملوكي، (دار الفاروق، نابلس، فلسطين، 1420هـ/ 1999م) ، ص56.

21. الحروب، محمد محمود أحمد. المماليك الأتراك في الدولة الأيوبية 567 – 648هـ/ 1171 – 1250م، رسالة ماجستير – غير منشورة – كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 1995م. ص133

22. المرجع نفسه، ص134. عرف المماليك الذين جلبهم الصالح نجم الدين أيوب من بلاد الصين باسم الخطائية، عن ذلك ينظر: العيني. عقد الجمان ص275. ابن الشحنة، البدر الزاهر، ص170.

23. سميت بالأسدية نسبة إلى أسد الدين شيركوه عم السلطان صلاح الدين الأيوبي، والذي توفى 564هـ/ 1168م، وتميزت هذه الفرقة بالقوة والشجاعة عن ذلك ينظر: أبو شامة. الروضتين، ج2، ص144. الحنبلي. شفاء القلوب، ص43.

24. سميت المماليك الصلاحية بهذا الاسم نسبة إلى السطان صلاح الدين الأيوبي. كما سميت بالناصرية نسبة إلى لقبه الملك الناصر. سبط ابن الجوزي، أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قزاوغلي (ت654هـ/ 1257م) ، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، جـ8، ق1، ص279. الحنبلي، أحمد بن إبراهيم، (ت876هـ/ 1471م) . شفاء القلوب ص67.

25. لمزيد من التفاصيل عن تقسيم الدولة الأيوبية ينظر: ابن الأثير. الكامل، ج12، ص97. أبو شامة. الروضتين، ح2، ص224 – 225. الحنبلي. شفاء القلوب، ص176. غنيم، حامد. الجبهة الإسلامية في مصر في عصر الحروب الصليبية، (مكتبة الشباب، القاهرة، 1971م) ، ص175 – 176. العبادي، أحمد مختار، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، (دار النهضة العربية، بيروت، 1995م) ، ص69.

26. يشار هنا إلى أن تنازل الأفضل عن القدس في بادئ الأمر، كان رغبة منه وبتدبير وزيره ضياء الدين ابن الأثير، من اجل حاجتها المستمرة إلى كميات وفيرة من المواد التموينية والعتاد العسكرية للدفاع عنها ضد محاولات الصليبيين احتلالها والاستيلاء عليها ثانية. عن ذلك ينظر: المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد (ت845هـ/ 1441م) . كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ق1، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، (لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ط2، 1956 – 1970م) ، ص115.

27. ابن الأثير. الكامل، ج12، ص118. أبو شامة، الروضتين، ج2، ص229. المقريزي. السلوك، ج1، ق1، ص115.

28. ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، (ت697هـ/ 1298م) ، مفرّج الكروب في أخبار بني أيوب، ج3، تحقيق جمال الدين الشيال، (جمهورية مصر العربية، وزارة الثقافة، د. ت) ، ص–11 12. لم يعثرالباحث على تعريف لهاتين الشخصيتين ولكن وصفهما المقريزي بأنهما من عظماء دولة الأفضل كما وصف فخر الدين جهاركس بأنه من أجل الأمراء الصلاحية المقريزي. السلوك، ج1، ق1، ص115، ص117.

29. الحروب، محمد محمود أحمد. المماليك الأتراك، ص104.

30. ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص14 – ص15.

31. ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص29 – ص30. المقريزي. ، ق2لوك، ج1، ق2، ص116.

32. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت732هـ/ 1332م) ، نهاية الأرب في فنون الأدب، ج28، وضع حواشيه محمد محمد أمين ومحمد حلمي محمد، (القاهرة،

1412هـ/ 1992م) ، ص245. غوانمة، يوسف درويش، امارة الكرك الأيوبية، (ط2، دار الفكر، عمان، 1402هـ/ 1982م) ، ص176.

33. أبو شامة. الروضتين، ج2، ص228 – ص229. ابن واصل. مفرج الكروب، ج3، ص30 – ص32.

34. أبو شامة. الروضتين، ج2، ص144. الحنبلي. شفاء القلوب، ص43.

35. ابن الأثير. الكامل، ج12، ص118. حمدي، حافظ أحمد. الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي، (دار الفكر العربي، مصر، 1950م) ، ص129 حاشية (1) .

36. الملك العادل محمد (540 – 615هـ/ 1145 – 1218م) ، أخو السلطان صلاح الدين الأيوبي، من كبار سلاطين الدولة الأيوبية، كان نائب السلطنة بمصر عن أخيه صلاح الدين في أثناء غيابه في الشام. ولما صفا له جو الملك قسم البلاد بين أولاده. الزركلي، خير الدين. الأعلام قاموس تراجم، ج6، (دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط5، 1980م) . ص47.

37. ابن الأثير. الكامل، ج12، ص155. ابن الوردي، زين الدين عمر (ت749هـ/ 1348م) تتمة المختصر في أخبار البشر، ج2، تحقيق أحمد رفعت البدراوي، (دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1970م) ، ص202. ابن دقماق. الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، ج2، تحقيق محمد كمال الدين علي، (عالم الكتب، بيروت، 1985م) ، ص26. ابن العماد. عبد الحميد بن أحمد بن محمد، (ت1089هـ/ 1679م) ، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج5، (دار إحياء التراث العربي، ط جديدة، بيروت، د. ت) ، ص65.

38. ابن الأثير. الكامل، ج12، ص119. المقريزي. السلوك، 140 ق1، ص123.

39. أبو شامة. الروضتين، ج2، ص229. المقريزي. المصدر نفسه، ج1، ق1، ص124.

40. ابن الأثير. الكامل، ج12، ص118.

41. أبو شامة. الروضتين، ج2، ص229.

42. المصدر نفسه، ج2، ص230.

43. ابن الأثير. الكامل، ج12، ص120. ابن خلدون. المبتدأ، ج5، ص724.

44. ناصر الدين محمد بن الملك العزيز عثمان، ولد بالقاهرة 585هـ/ 1189م، مات والده وعمره تسع سنوات وأشهر عدة. ينظر: ابن الأثير. الكامل، ج12، ص120، 140. أبو شامة. الروضتين، ج2، ص141. ابن خلدون. المبتدأ، ج5، ص724.

45. ابن الأثير. الكامل، ج12، ص140. أبو شامة. الروضتين، ج2، ص235.

46. ابن الأثير. المصدر نفسه، ج12، ص141. أبو شامة. المصدر نفسه، ج2، ص235.

47. ابن الأثير. الكامل، ج12، ص155.

48. القيسراني، إبراهيم بن عبد الرحمن القرشي الخالدي (ت753هـ/ 1352م) . النور اللائح والدر الصادح في إصطفاء مولانا السلطان الملك الصالح "أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن الناصر قلاوون" (743 – 746هـ/ 1342 – 1345م) ، تحقيق عبد السلام تدمري، (دار الإنشاء، ط1، 1982م) ، ص55. المقريزي. السلوك، ج1، ق1، ص154.

49. ابن الوردي، زين الدين عمر (ت749هـ/ 1348م) . تتمة المختصر في أخبار البشر، ج2، تحقيق أحمد رفعت البدراوي، (دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1970م) ص202، ابن دقماق. الجوهر الثمين، ج2، ص26، ابن العماد، شذرات الذهب، ج5، ص65.

50. المقريزي. السلوك، ج1، ق1، ص147، 175.

51. لمزيد من التفاصيل عن هذا الهجوم الصليبي، ينظر: ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص258، 261، ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت681هـ/ 1282م) . وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج5، تحقيق إحسان عباس، (دار صادر، بيروت، 1977م) ، ص75.

52. أبو شامة. الذيل على الروضتين، (دار الجيل، بيروت، ط2، 1974م) ، ص111.

53. ابن واصل، مفرج الكروب، ج3، ص258 – 259. ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن يوسف الأتابكي، (ت 874هـ/ 1469م) ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج6، (دار الكتب المصرية، 1949م) ، ص222.

54. الملك الكامل محمد (576 – 635هـ/ 1180 – 1238م) ابن محمد العادل ابن أيوب، ولد بمصر، وأعطاه أبوه الديار المصرية، فتولاها مستقلا بعد وفاته 615هـ/ 1165م. الزركلي، خير الدين. الأعلام، ج7، ص28.

55. المعظم عيسى (576 – 624هـ/ 1180 – 1227م) بن محمد (الملك العادل) أبي بكر بن أيوب كان له ما بين بلاد حمص والعريش، يدخل في ذلك بلاد الساحل التي في أيدي المسلمين وبلاد الغور وفلسطين والكرك والشوبك، وكان عالما بفقه الخنفية والعربية. ولد في القاهرة وتوفى بدمشق. الزركلي. خير الدين. الأعلام، ج5، ص107 – 108.

56. خلاط: من مدن أرمينيا، الحميري، محمد بن عبد المنعم. الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، (مكتبة لبنان، ط2، 1984م) ، ص220.

57. ابن لقلق، كيرلس الثالث (د. ت) . تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية، (613 – 641هـ/ 1216 – 1243م) ، مج4، ج1، نشر: أنطون خاطر وأزولد بورمستر، (مطبوعات جمعية الآثار القبطية، القاهرة، 1974م) ، ص24. ابن الأثير. الكامل، ج12، ص351 – 352. ابن خلكان. وفيات الأعيان، ج5، ص 76. ابن واصل. مفرج الكروب، ج3، ص229. ابن دقماق، ج12 الجوهر الثمين، ج2، ص26. ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، ج6، ص227.

58. ابن الأثير. الكامل، ج12، ص352.

59. المصدر نفسه، ج12، ص463.

60. غوانمة، يوسف درويش. أضواء جديدة على الملك الناصر داود وتحرير بيت المقدس مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، ص96 – 107.

61. ابن الأثير. الكامل، ج10، ص482. ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص225 – ص226.

62. المصدر نفسه، ج12، ص352.

63. عز الدين أيبك المعظمي: أمير من المماليك يُعرف بصاحب صرخد، كان مملوكاً للملك المعظم شرف الدين عيسى الأيوبي في دمشق، وأقطع مدينة صرخد من أعمال حوران يسورية، ثم أخذ منه الصالح أيوب صرخد، اعتقل في القاهرة إلى أن مات 646هـ/ 1248م. الزركلي، خير الدين. الأعلام، ج2، ص33.

64. ابن الأثير. الكامل، ج12، ص463.

65. المقريزي. السلوك، ج1، ق1، ص299. ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، ج6، ص320.

الملك الصالح نجم الدين أيوب: (603 – 647هـ/ 1206 – 1249م) بن محمد الملك الكامل بن أبي بكر العادل بن أيوب، من كبار الملوك الأيوبيين بمصر ولد ونشأ في القاهرة وولي بعد خلع أخيه العادل الثاني 637هـ/ 1196م. الزركلي، خيرالدين. الأعلام، ج2، ص38.

66. العيني، بدر الدين محمود (ت855هـ/ 1451م) . عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان عصر سلاطين المماليك "648 – 664هـ/ 1250 – 1265م"، تحقيق محمد محمد أمين، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م) ، ص264. ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، ج6، ص 320.

67. الحملة الصليبية الخامسة على مصر: كان البابا إينوسنت الثالث 1198 – 1216م، قد دعا في مجمع لاتيران الرابع في شهر تشرين ثاني 1215م إلى شن حملة صليبية جديدة في المشرق تحت ذريعة تحرير الأماكن المقدسة. وكان حنا دي برين الملك الصليبي على عكا قد اقترح على قادة الحملة مهاجمة الاسكندرية أو دمياط في مصر، اعتقاداً منه بأن السيطرة على أي منها سيؤدي إلى إتاحة الفرصة أمامهم للتقدم نحو القدس ومحاولة استعادتها. لمزيد من التفاصيل عن هذه المعركة ونتائجها ينظر: ابن الأثير. الكامل في التاريخ، ج12، ص323 – 331، ابن واصل. مفرج الكروب، ج3، ص258 – 261. يوسف، إفرام عيسى. الحملات الصليبية كما يرويها المؤرخون السريان، ترجمة فخري العباسي، (دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2010م)، ص250 – 255. سميث، جوناثان رايلي. تاريخ أكسفورد للحروب الصليبية، ترجمة وتعليق د. قاسم عبده قاسم، (عين للدراسات، ج. م. ع، ط1، 1427هـ/ 2007م)، ص200.

68. ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، ج6، ص235. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر الخضيري. (ت911هـ/ 1505م). كتاب حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ج2، (مطبعة الموسوعات مصر، د. ت)، ص37، والجزيرة هي المنطقة الواقعة بين دجلة والفرات في العراق. عن ذلك ينظر: ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله، (ت626هـ/ 1229م)، معجم البلدان، ج2، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1979م)، ص134.

69. ابن واصل، مفرج الكروب، ج5، ص156.

70. شمس الدين صواب العادلي هو مقدم جيوش المماليك العادلية، واعتمد عليه كذلك الملك الكامل، توفي بحران 632هـ/ 1234م. عن ذلك ينظر: سبط ابن الجوزي، أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قزاوغلي، (ت654هـ/ 1257م). مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج8، ق2، (حيدر أباد الدكن، الهند، 1951 – 1953م)، ص694. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764هـ/ 1363م). الوافي بالوفيات، ج16، (دار فرانز شتاين، ط1، 1411هـ/ 1991م)، ص339.

71. حصن كيفا: بلدة وقلعة عظيمة تشرف على نهر دجلة. ينظر: ياقوت الحموي. معجم البلدان، ج2، ص265.

72. سبط ابن الجوزي، ج8، ق2. ص707

73. الناصر داود ابن المعظم عيسى بن محمد بن أيوب، ولد 603هـ/ 1206م، وتوفى 656هـ/ 1258م، وكان قد تولى أمر دمشق بعد وفاة والده، عن ذلك، ينظر: الكتبي.

فوات الوفيات، ج1، ص419.

74. بصرى: من أعمال دمشق، وهي قصة كورة حوران. ياقوت الحموي شهاب الدين بن أبي عبد الله (ت626هـ/ 1239م) معجم البلدان، ج1، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1990م) ، ص522.

75. بعلبك: مدينة لبنانية، أطلق عليها الرومان اسم هيلوبوليس (Heliopols) وتعني مدينة الشمس. فريحة، أنيس معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية، (مكتبة لبنان، بيروت، ط3، 1992م) ، ص27.

76. ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص228 – 230. ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، ج6، ص233. الكتبي. فوات الوفيات، ج1، ص 419.

77. ابن لقلق، كيرلس الثالث. تاريخ بطاركة الكنيسة، مج4، ج2، ص79 – 80. ابن الجوزي. مرآة الزمان، ص705. ابن واصل. مفرج الكروب، ج5، ص155. ابن الفوطي، كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق البغدادي (ت723هـ/ 1323م) . الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، (المكتبة العربية، بغداد، د. ت) ، ص107. المقريزي. كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج3، (دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط بولاق، 1270هـ/ 1853م) ، ص88 العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك الملكي، (ت1111هـ/ 1699م) . سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي، ج4، (المطبعة السلفية، د. ت) ، ص13.

78. سيف الدين بن قليج: لم يعثر الباحث على تعريف له.

79. ابن الجوزي. مرآة الزمان، ص707.

80. المصدر نفسه، ص707. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج6، ص303 – 304.

81. ابن تغري بردي. المصدر نفسه، ج6، ص303. ابن واصل. مفرج الكروب، ج4، ص278.

82. ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، ج6، ص333. ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج2، ص36. الحنبلي. شفاء القلوب، ص366. حسين، حمدي عبد المنعم دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، (دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، د. ط، 1999م) ، ص122. العريني، السيد الباز. الأيوبيون، (دار النهضة العربية، القاهرة، د. ط، د. ت) ، ص133. سالم، السيد عبد العزيز. تاريخ الأيوبيين والمماليك، (مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، 2004 م) ، ص188.

83. الكتبي. فوات الوفيات، ج1، ص235. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك،

(ت764هـ/ 1363م) . الوافي بالوفيات، ج10، تحقيق أيدمر ثابت، (بفيسبادن، دار صادر، بيروت، 1980م) ، ص329. ابن اياس. بدائع الزهور، ج1، ق1، ص288.

84. جوانفيل. مذكرات جوانفيل، ص137.

85. عرف المماليك الذين جلبهم الصالح نجم الدين أيوب من بلاد الصين باسم الخطائية. عن ذلك ينظر: العيني. عقد الجمان، ص275. ابن الشحنة، عفيف الدين حسين محمد بن محمد، (ت916هـ/ 1510م) . البدر الزاهر في نصرة الملك الناصر، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، (دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت) ص170.

86. ابن خلدون. كتاب المبتدأ، ج5، ق1، ص806.

87. ابن واصل، مفرج الكروب، ج4، ص278.

88. المقريزي. الخطط، ج3، ص89. الحنبلي. شفاء القلوب، ص366. القرماني، أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي، (ت1019هـ/ 1610م) . أخبار الدول وأثار الأول، (د. ن، د. ط، د. ت) ص196.

89. ابن الفوطي. الحوادث الجامعة، ص115.

90. أبو الفداء. المختصر، مج2، ج6، ص65.

91. الملك الجواد يونس (000 – 641هـ/ 000 – 1243م) بن مودود بن الملك العادل محمد بن أيوب، من أمراء الدولة الأيوبية، ولي دمشق 635هـ/ 1237م، بعد موت الكامل. تعرض للاعتقال من قبل الناصر داود في القدس، ويقال أنه هرب إلى عكا وهي بأيدي الصليبيين فأقام معهم، وبذل لهم الملك الصالح اسماعيل صاحب دمشق يؤمئذ مالاً وتسلم الجواد منهم واعتقله ثم خنقه. الزركلي، خير الدين. الأعلام، ج8، ص263.

92. المغيث عمر (000 – 642هـ/ 000 – 1244م) جلال الدين بن الصالح نجم الدين أيوب، من أمراء الدولة الأيوبية، كان نائب دمشق وتوفى بها. الزركلي، خير الدين. الأعلام، ج5، ص42.

93. ابن الوردي. تتمة المختصر، ج2، ص246.

94. ابن خلكان. وفيات الأعيان، ج5، ص84. أبو الفداء. المختصر، مج2، ج6، ص66. ابن خلدون. المبتدأ، ج5، ص773.

95. أسد الدين شيركوه (الثاني) (569 – 636هـ/ 1173 – 1239م) بن محمد بن شيركوه أسد الدين، أبو الحارث، من ملوك بني أيوب، كان صاحب حمص كأبيه وجده واشتهر بالشجاعة، وتوفى في حمص السورية. الزركلي، خير الدين. الأعلام، ج3، ص183.

96. ابن الوردي. تتمة المختصر، ج2، ص246.

97. أبو شامة. الذيل، ص169. أبو الفداء. المختصر، مج2، ج6، ص66.

98. شجر الدر (ت655هـ/ 1257م) أم خليل، الملقبة بعصمة الدين، ملكة مصر. أصلها من جواري الملك الصالح نجم الدين أيوب، وحظيت عنده، وولدت له ابنه خليلا، فأعتقها وتزوجها. وعندما تولى السلطنة في مصر كانت في بعض الأحيان تدير أمور الدولة عند غيابه في الغزوات. ولما توفى الملك الصالح سنة 647هـ/ 1249م بالمنصورة والمعارك محتدمة بين جيشه والصليبيين أخفت خبر موته. وتقدمت للملك وخطب لها على المنابر وضربت السكة باسمها وتزوجت من عز الدين أيبك، وقيل أنها ماتت خنقاً. الزركلي خير الدين. الأعلام، ج3، ص158.

99. ابن خلكان. وفيات الأعيان، ج5، ص85. ابن الفوطي. الحوادث الجامعة، ص140. ابن دقماق، الجوهر، ج2، ص33. ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، ج6، ص 307. ابن العماد، عبد الحي بن أحمد بن محمد (ت1089هـ/ 1679م) . شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج5، (دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط جديدة، د. ت) ، ص183. ابن كثير، أبو الفداء الحافظ الدمشقي، (ت774هـ/ 1372م) . البداية والنهاية، ج13، تحقيق أحمد أبو ملحم وأخرون، (دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط3، 1987م) ، ص153 – 154.

100. المقريزي. الخطط، ج3، ص90. العيني. عقد الجمان، ص279.

101. هو بيبرس البندقداري الصالحي، أنزل به الصالح نجم الدين أيوب بعد إطلاق سراحه وتوليه زمام السلطة في مصر عقوبة الإعدام بعد انضمامه إلى الخوارزمية، (وهم طائفة من التتار) وهو غير الظاهر بيبرس البندقداري الذي تولى السلطة في مصر عقب انتصاره على التتار في معركة عين جالوت، 658هـ/ 1260م. ينظر: أبو الفداء. المختصر، مج2، ج6، ص79. ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، ج6، ص322.

102. المقريزي. السلوك، ج1، ق2، ص289 – 290.

103. أبو الفداء. المختصر، مج2، ج6، ص67. اليافعي. مرآة الجنان، ج4، ص94. ابن العماد. شذرات الذهب، ج5، ص183. ابن العميد، جرجس. أخبار الأيوبيين، نشره وحققه كلود كاهن، (مجلة المعهد العلمي، دمشق، عدد7، 1955 – 1957م) . ص147.

104. الحروب، محمد محمود أحمد. المماليك الأتراك، ص130.

105. ابن دقماق، الجوهر الثمين، ج2، ص34. ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، ج6، ص308.

106. أطلق هذا الاسم في عهد الدولة الفاطمية. بمصر على الأطفال من أسرى الحروب، ثم تتم عملية تدريبهم على استخدام السلاح وأساليب القتال إلى جانب تعليمهم القراءة والكتابة، حتى وصل بعضهم إلى رتبة أمير للخليفة. ينظر: المقريزي. السلوك، (ج، ق2، ص275) .

107. المقريزي. الخطط، ج3، ص95. الحنبلي. شفاء القلوب، ص373. جبران، نعمان محمود. دراسات في تاريخ الأيوبيين، ص190.

108. ابن الفوطي. الحوادث الجامعة، ص141. أبو الفداء. المختصر، مج2، ج6، ص68. ابن الوردي. تتمة المختصر، ج2، ص247. ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، ج6، ص310.

109. ابن العماد. شذرات الذهب، ج5، ص183. العبادي، أحمد مختار. قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام، (مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د. ط، د. ت) ، ص93.

110. ابن لقلق. تاريخ بطاركة، مج4، ج2، ص103. ابن الفوطي. الحوادث الجامعة، ص141. اليافعي. مرآة الجنان، ج4، ص92. المقريزي. السلوك، ج1، ق1، ص295. العيني. عقد الجمان، ص263. الحنبلي. شفاء القلوب، ص366.

111. أبو الفداء. المختصر، مج2، ج6، ص68. المقريزي. الخطط، ج3، ص89.

112. ابن إياس. بدائع الزهور، ج3، ص269.

113. ابن خلكان. الوافي بالوفيات، ج5، ص85. ابن الفوطي. الحوادث الجامعة، ص141. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، ، الوافي بالوفيات، ج10، ص247، ابن خلدون. المبتدأ، ج5، ص774.

114. القرماني، أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي، (ت1019هـ/ 1610م) ، أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، (د. ن، د. ط، د. ت) ، ص196. وقلعة الجبل تقع بين ظاهر القاهرة وجبل المقطم والفسطاط، في مكان مرتفع. ينظر. القلقشندي، صبح الأعشى، ج3، ص421 – 422. حسن، صفوان طه. تاريخ الأيبوبيين، ص129. العبادي، أحمد مختار. في التاريخ الأيوبي والمملوكي، ص80.

115. ابن لقلق، تاريخ بطاركة، مج4، ج2، ص104.

116. اليافعي، مرآة الجنان، ج4، ص92. المقريزي. السلوك، ج1، ق2، ص327، ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة، ج6، ص332. الحنبلي. شفاء القلوب، ص367.

المصادر والمراجع:

أولاً- مصادر البحث:

1. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن على بن أبي الكرم الشيباني (ت637هـ/ 1239م).

– الكامل في التاريخ، ج12، (دار صادر، بيروت، 1979م).

2. الأصفهاني، عماد الدين محمد بن محمد بن حامد (ت597هـ/ 1201م).

– البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان، تحقيق محمد علي الطعاني، – رسالة ماجستير غير منشورة – (جامعة اليرموك، 1994م).

– الفتح القسي في الفتح القدسي. تحقيق محمد محمود صبح، (القاهرة، 1965م).

3. ابن إياس، محمد بن أحمد الحنفي (ت930هـ/ 1523م).

– بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج1، ق1، تحقيق: محمد مصطفى، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1982م).

4. ابن أيبك الدواداري، أبو بكر عبد الله (ت732هـ/ 1331م).

– كنز الدرر وجامع الغرر، ج7، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، (القاهرة، 1972م).

5. البنداري، قوام الدين الفتح بن علي (ت643هـ/ 1245م).

– سنا البرق الشامي، تحقيق رمضان ششن، ق1، (ط1، بيروت، لبنان، 1971م).

6. ابن تغري بردي، جمال الدين بن يوسف، (ت874هـ/ 1465م).

– النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج2، (دار الكتب المصرية، 1949م)

7. جوانفيل. مذكرات جوانفيل.

– القديس لويس حياته وحملاته على مصر والشام، ترجمة حسن حبشي، (دار المعارف، مصر، ط1، 1968م).

8. سبط ابن الجوزي، أبو المظفر شمس الدين يوسف بن قزاوغلي، (ت654هـ/ 1257م).

– مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج8، ق2، (حيدر أباد الدكن، الهند، 1951 – 1953م).

9. الحنبلي، أحمد بن إبراهيم، (ت876هـ/ 1471م).

– شفاء القلوب في مناقب بني أيوب، تحقيق: ناظم رشيد، (د. ن، د. ط، د. ت).

10. الحميري، محمد بن عبد المنعم.

– الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، (مكتبة لبنان، ط2، 194م) .

11. ابن خلدون، عبد الرحمن المغربي (ت808هـ/ 1405م) .

– كتاب المبتدأ العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج5، ق1، (دار الكتاب اللبناني، د. ت) .

12. ابن خلكان، أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت681هـ/ 1282م) .

– وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج5، تحقيق إحسان عباس، (دار صادر، بيروت، 1977م) .

13. ابن دقماق، إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي (ت809هـ/ 1406م) .

– الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، ج2، تحقيق محمد كمال الدين علي، (عالم الكتب، بيروت، 1985م) .

– كتاب الانتصار لواسطة عقد الأمصار، ق2، (المكتب التجاري، بيروت، 1892م) .

14. السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، (ت911هـ/ 1505م) .

– تاريخ الخلفاء أمراء المؤمنين القائمين بأمر الأمة، (القاهرة، 1251م) .

– كتاب حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، ج2، (مطبعة الموسوعات مصر، د. ت) .

15. ابن الشحنة، عفيف الدين حسين محمد بن محمد (ت916هـ/ 1510م) .

– البدر الزاهر في نصرة الملك الناصر، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، (دار الكتاب العربي، بيروت، د. ت) .

16. أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت665هـ/ 1266م) .

– كتاب الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ج2، تحقيق: محمد حلمي محمد أحمد، (دار الجيل، بيروت، د. ت) .

– الذيل على الروضتين، (دار الجيل، بيروت، ط2، 1974م) .

17. الصفدي، صالح الدين خليل بن أيبك (ت764هـ/ 1363م) .

– الوافي بالوفيات، ج16، (دار فرانز شتايز، 1411هـ/ 1991م) .

18. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت310هـ/ 922م) .

– تاريخ الرسل والملوك، ج8، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار المعارف، القاهرة، ط4، 1966م) .

19. العيني، بدر الدين محمود، (ت855هـ/ 1451م) .

- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان عصر السلاطين المماليك، (648 – 664هـ/ 1250 – 1265م) ، تحقيق محمد محمد أمين، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1987م).

20. العصامي، عبد الملك بن حسين بن عبد الملك المكي، (ت1111هـ/ 1699م) .

– سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي، ج4، (المطبعة السلفية، د. ت) .

21. ابن العميد، جرجس.

– أخبار الأيوبيين، نشره وحققه كلود كاهن، (مجلة المعهد العلمي، دمشق، عدد7، 1955 – 1957م) .

22. ابن العماد. عبد الحميد بن أحمد بن محمد، (ت1089هـ/ 1679م) .

– شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ج5، (دار إحياء التراث العربي، ط جديدة، بيروت، د. ت) .

23. ابن الفوطي، كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق البغدادي (ت723هـ/ 1323م) .

– الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة، (المكتبة العربية، بغداد، د. ت) .

24. أبو الفداء، إسماعيل بن عماد الدين صاحب حماه، (ت732هـ/ 1231م) .

– المختصر في أخبار البشر، 4 أجزاء في مجلدين، (ط1، المطبعة الحسينية، د. ت)

25. القلقشندي، أحمد بن علي، (ت821هـ/ 1418م) .

– صبح الأعشى في صناعة الإنشا، ج5، تعليق: محمد حسين شمس الدين، (دار الفكر، ط1، 1987م) .

26. القيسراني، إبراهيم بن عبد الرحمن القرشي الخالدي (ت753هـ/ 1352م) .

– النور اللائح والدر الصادح في إصطفاء مولانا السلطان الملك الصالح "أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن الناصر قلاوون" (743 – 746هـ/ 1342 – 1345م) ، تحقيق

عبد السلام تدمري، (دار الإنشاء، ط1، 1982م) ، ص55.

27. القرماني، أحمد بن يوسف بن أحمد الدمشقي، (ت1019هـ/ 1610م) .

– أخبار الدول وأثار الأول، (د. ن، د. ط، د. ت) .

28. ابن كثير، أبوالفداء الحافظ الدمشقي، (ت774هـ/ 1372م) .

– البداية والنهاية، ج13، تحقيق أحمد أبو ملحم وأخرون، (دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط3، 1987م) .

29. الكندي أبو عمر بن يوسف (ت 350هـ/ 961م) .

– الولاة والقضاة، (طبعة روفن جست، بيروت، 1908م)

30. الكتبي، محمد بن شاكر (ت 764هـ/ 1362م) .

– فوات الوفيات، ج1، تحقيق: إحسان عباس، (دار صاور، بيروت، 1980م) .

31. ابن لقلق، كيرلس الثالث (د. وفاه) .

– تاريخ بطاركة الكنيسة المصرية،، ج 113 – 641هـ/ 1216 – 1243م) ، مج4، ج1، نشر: أنطون خاطر وأزولد بورمستر، (مطبوعات جمعية الآثار القبطية، القاهرة، 1974م) .

32. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد (ت845هـ/ 1441م) .

– كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك، ج1، ق1، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، (لجنة التأليف والترجمة، القاهرة، ط2، 1956 – 1970م) .

– كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج3، (دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط بولاق، 1270هـ/ 1853م) .

33. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت732هـ/ 1332م) نهاية الأرب في فنون الأدب، ج28. وضع حواشيه محمد محمد أمين ومحمد حلمي محمد، (القاهرة، 1412هـ/ 1992م) .

34. ابن الوردي، زين الدين عمر (ت749هـ/ 1348م) .

– تتمة المختصر في أخبار البشر، ج2، تحقيق أحمد رفعت البدراوي، (دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1970م) .

35. ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، (ت697هـ/ 1298م) .

– مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ج3، تحقيق جمال الدين الشيّال، (جمهورية مصر العربية، وزارة الثقافة، د. ت) .

36. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله، (ت626هـ/ 1228م) .

– معجم البلدان ج3، تحقيق فريد عبد العزيز الجندي، (دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1410هـ/ 1990م) .

37. اليافعي. محمد أبي عبدالله بن أسعد علي بن سليمان اليمني المكي (ت768هـ/ 1366م)

– مرآة الجنان وعبرة اليقظان، 4 أجزاء، (مطبعة دائرة المعارف النظامية– حيدر آباد الدكن، 1979م)

ثانياً- مراجع البحث:

1. جبران، نعمان محمود.

– دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، (مؤسسة حمادة، إربد، الأردن، ط 2000)

2. الحروب، محمد محمود أحمد. المماليك الأتراك في الدولة الأيوبية (567 – 648هـ/ 1171 – 1250م) رسالة ماجستير – غير منشورة – كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، 1995م.

3. حمدي، حافظ أحمد.

– الشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي، (دار الفكر العربي، مصر، 1950م) .

4. حسين، حمدي عبد المنعم.

– دراسات في تاريخ الأيوبيين والمماليك، (دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، د. ط، 1999م) .

5. حسن، صفوان طه.

– تاريخ الأيوبيين والمماليك، (دار الفكر، عمان، الأردن، 1431هـ/ 2010م)

6. الدوري، عبد العزيز.

– العصر العباسي الأول، (د. ن، بغداد، د. ط، د. ت) .

7. الدباغ، مصطفى مراد.

– بلادنا فلسطين، ج5، (ط جديدة، دار الهدى، كفر قرع، 1991م) .

8. الزركلي خير الدين.

– الأعلام قاموس تراجم، ج6، (دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط5، 1980م) .

9. سميث، جوناثان رايلي.

– تاريخ أكسفورد للحروب الصليبية، ترجمة وتعليق د. قاسم عبده قاسم، (عين للدراسات، ج. م. ع، ط1، 1427هـ/ 2007م) .

10. العبادي، أحمد محتار.

– قيام دولة المماليك الأولى، (مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، د. ط، د. ت) .

11. العزة، رئيسة عبد الفتاح.

– نابلس في العصر المملوكي، (دار الفاروق، نابلس، فلسطين، 1420هـ/ 1999م) .

12. العريني، السيد الباز.

– الأيوبيون، (دار النهضة العربية، القاهرة، د. ط، د. ت) .

13. غنيم، حامد.

– الجبهة الإسلامية في مصر في عصر الحروب الصليبية، (مكتبة الشباب، القاهرة، 1971م) .

14. غوانمة، يوسف درويش.

– إمارة الكرك الأيوبية، (ط2، دار الفكر، عمان، 1402هـ/ 1982م) .

– أضواء جديدة على الملك الناصر داود وتحرير بيت المقدس، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، ص96 – 107.

15. فريحة، أنيس.

– معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية، (مكتبة لبنان، بيروت، ط3، 1992م) .

16. يوسف، إفرام عيسى.

– الحملات الصليبية كما يرويها المؤرخون السريان، ترجمة فخري العباسي، (دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2010م) .

ثالثاً ـ المراجع الأجنبيّة:

1. Lane- Poole. History of Egypt in the middle Ages, (London, 1925) .